التصوّر والتمييز

بنّاصر البُعزّاتي

تقديم

لا يمكن أن يعيش الذهن بدون نشاط، وأهمّ أوجه نشاط الذهن فاعلية نسج الصور والتصوّرات والمفاهيم والأحكام. وبما أن الذهن يحيا، أي يرتّب النشاط العملي للفرد لينسجم مع مكوّنات الوسط المحيط، فلا يتجنّب تكوين تصوّر شامل يوزّع المعاني على كل ما يحيط به، ويقدّم لها تبريرات ويرسم لها غايات. إذ من طبيعة الذهن إيجاد تفسيرات للوقائع والأحداث، هي ولا شكّ ضعيفة أو وثيقة، بِنسبٍ ما. والعقل السليم – كل سلامة نسبية- هو الذي يجعل تفسيراته نفسها موضوعاً للتفكير، تحليلاً وتأثيثاً وتنقيحاً وتنسيقاً.

لكن دوام قبضة نفس التصوّر على الذهن يؤدّي لا محالة إلى شيخوخة الذهن، التي تعني توقّفه عن التكيّف الموفَّق مع المستجدات في المحيط، وتبعاً للتوقف يمكن وسم الذهن آنذاك بالجمود. ولذا لا خيار للذهن: إما الانخراط في سيرورة استيعاب المستجدات وترتيب أحكامه في شأنها وإبداع المخارج للورطات التي يقع فيها يومياً، أو الاستسلام لما هو مُتاح، فيكون الموت (موت الفكر) أو ما هو قريب منه.

وبما أن البشرية ورثت ما لا حصر له من التصوّرات حول الكون والإنسان والمعرفة والقِيم، بالنظر إلى تنوّع البيئات التي نمت فيها الأذهان، فلا يحتاج كل فرد أن ينسج تصورات جديدة دائماً. بل إن أغلبنا يكتفي بالانخراط في تصوّر مقتبَس من عند

الأجيال السابقة، أو من بعض 'الشيوخ'، ثم يضفي عليه ترقيعاً في بعض أجزائه وتكييفاً لبعض أطرافه في ضوء التجربة الفردية حسب مستجدات الحياة.

هكذا يوجد الذهن -ذهن الفرد- في كل لحظة من وجوده أمام معضلة: إما الانخراط التامّ في تصوّر مكتمل، وعند ذلك تتقلّص حظوظ تطوّره، بحكم التزامه؛ وإما محاولة الانفلات من كل تصوّر مكتمل، وعند ذلك ستُعوزه الأدواتُ الأوّلية للتفكير؛ وقد لا يفكّر، اعتباراً أن كل تفكير يفترض تكويناً فكرياً أوّلياً، أي نموّاً في نطاق أفكار نسجتها الأجيال السابقة. ولعل الموقف العملي الواعد يقتضي الأخذ بما هو متوفّر من الآراء، وجعلها موضوعاً لإعادة البناء في اتّجاه نسج تفسيرات وأفهاماً أكثرَ قوّةً، أو على الأقل، أقلَّ هشاشةً. ولن يتحقق ذلك بدون مجهود فكري؛ وتطوّر نمط العيش تمّ بفضل ذلك المجهود.

فضاء التصورات

عند كل التحولات الفكرية، على مدى قرون عديدة من التاريخ، تحصل هيمنة حقل معرفي معيّن على الحقول الأخرى، فتُقتبس آليات الفرز والترتيب والتصنيف من ذلك الميدان المتقدّم وتنطبع بافتراضاته الواعية وغير الواعية. فقبْل ارسطو، غلب النموذج الرياضي على الأذهان لدى الكثير من المفكرين، من طالِس إلى اُودُكْسُس وافلاطُن، مروراً بالمدرسة الفيثاغورية. وبُعيد افلاطن برز نمطان من الفكر يركزان على آليات الجدل والاستدلال والبرهان والإقناع، ضمن مدرستي المشائية والرواقية والقريبة منهما. ومع اتّساع رقعة التفاعل الفكري بين النخب من مناطق عدة، ظهرت أبنية تؤلّف وتركّب بين التوجّهات المتنوعة بنِسب مختلفة. إنما ليس التفاعل بين التقاليد الفكرية جديداً، بل عِيش منذ عشرات القرون، لكن كثافة التبادل بين المجموعات البشرية وانتشار الكتابة سهّل سبل

التلاحق ووسائل الخزن والتراكم زمن افلاطُن واَرسطو، وأبدعت أخرى بسرعة لم تر البشرية مثلها من ذي قبل.

فيجب على المهتمّ بتاريخ الفكر تتبّع اتّجاه الهيمنة المفهومية عبر الحِقب، قصد إدراك نسبية الأبنية المعرفية وانتمائها التاريخي والثقافي. وفي نفس الوقت، تتبيّن تلك الأفكار المغامِرة التي تنمو على هوامش السائد من التصوّرات، والتي تعمل جاهدة على مقاومة هيمنة ترسانة مفهومية معيّنة، من خلال استثمار الهوامش التي تتركها الأنساقُ السائدة بحكم كونها لا تستطيع أن تكوّن تصوراً مكتملاً يجيب على كل الأسئلة التي تخطر ببال من يعاني من هيمنة أنسقة بالذات. فعندما نتحدث عن سيطرة إعمال الرياضيات من طالِس إلى افلاطُن، لا يعني ذلك أن الكُلّ كان يمارس الرياضيات بنفس البناء ولنفس الأغراض: إذ هناك من يتأمّل الأعداد وخصائص سلاسلها (الأعداد الطبيعية والفردية والزوجية والأوّلية والصمّاء والمربّعة والتامة وغير التامة والمتحابّة ...)؛ وهناك من يمارس الرياضيات في الوزن والقياس، ومن يفعل ذلك في إنشاء الجداول الفلكية، ومن يستغل الجداول في التنجيم والطلسمات؛ بل حتى من كان يعارض النمذجة الرياضية يستعمل مسلّماتها وآلياتها الأوّلية. ومن انتقد المنطق، مثل الأبيقوريين والشكّانيين، فعلوا ذلك عبر الإتيان بأمثلة من الأدلّة لا تقبل تأطيراً من قبل المنطق السائد (نظرية القياس ولواحقها). ويمكن التأكيد على أن كل مذهب فكري لا ينتج أفكاراً وحدوساً فقط، بل يخلق أعداءً يشكّون في منشآته ويعارضون ادعاءاته. وليس صعباً على الناظر أن يتبيّن أن التصورات والمذاهب ليست من صنع أفراد منعزلين، بل الأفراد الذين تُنسب الأفكار إليهم من صنع فعالية الأفكار وسلطتها على الأذهان؛ ولعلّ الأفضل للفهم هو الإقرار بأن الأفكار تصنع الأفراد بنفس الوزن الذي يصنعها الأفرادُ من خلال تفاعل الذوات الفاعلة.

إن الأفكار تتجوّل محمولة في كتب ومحشوة في الأذهان ومعمولة، في شقها المتعلق بالحياة العملية، في الحياة الثقافية والاجتماعية في شكل علامات وتعليمات ونصائح وأوامر ونواهي. ولعل التنقيب في الجذور الثقافية ومسألة الأسبقية التاريخية للأفكار مفيد لكي يفهم المرء ما يعتمل في ذهنه وكيف أصبح هو بالذات يفكر بالطريقة التي يفكر بها لا بطريقة مغايرة. وما من شك أن إقدامه على التساؤل في شأن تكوينه الشخصي سيحثّه على التيقن بأن أسلوب تفكيره مشروط بما تمكّن هو بالذات من الوصول إليه، وأن ما لم يصل إليه قد يكون أوسع، بل قد يكون أرجح من 'الحقائق' التي تسحر ذهنَه ويناضل من أجل نصرتها.

نتحدث عن تأثير ابن رشد في سيرورة النهضة الأوربية بكيفية تجعل البعض يجزم بأن تلك النهضة بمجملها مدينة لفكر أبي الوليد. ويتعجّب بعضنا كيف أن نصير الدين الطوسي (وف 1274/672) وصدر الدين الشيرازي (وف 1640/1050) ومن عاش بين فترتيهما لم يطلعوا على 'العقلانية' الرشدية للانخراط في التنوير العقلي! ويجزم بعضنا بأن البطروجي (وف 1204/601) قاد علم الفلك نحو التجديد الحاصل خلال القرن السادس عشر، لمجرّد أن مفكراً من القرن الثالث عشر وصف البطروجي بمزعزع الفلك البطلمي. وجعل بعض الدارسين من أبي حامد الغزالي (وف 1111/505) **مسؤولاً** عن تراجع العلوم والفلسفة في سياق الثقافات الإسلامية؛ في حين يحاول آخرون جعله منظّراً مجدِّداً منقلباً على الهيمنة المشائية وفاتحاً لفكر جديد كان وراء الثورة العلمية (التي حصلت في اوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر). ونفس التضاد بين موقفين متعارضين في شأن فكر ابن تيمية (وف 1328/728). وفي حين يُعدّ البعض ديكارت أب الفلسفة الحديثة، يرى فيه آخرون ناقلاً لمنهج الشك الغزالي وامتداداً للفكر الوسيط.

ليست المواقف من تاريخ الأفكار، المشار إليها، خاطئة بالتمام، وبالمقابل، لا توجد حقيقة ناصعة مغايرة مغيَّبة، فننصّب أنفسنا في مهمّة البحث عنها. إن الأمر يتعلّق بدرجة الصواب والرجحان لا بحقيقة وخطإ قارّين. غير أن تقدير حضور عناصر القديم والجديد في الأبنية الفكرية يتوقف على استيعاب شامل لمكوّنات اللحظة التاريخية، وهي مهمّة صعبة.

إن تناول تاريخ الأفكار في سياق التفاعلات التاريخية يجنّب نسبة الأفكار إلى الأفراد وتحميل المسؤولية لهم وكأن الفرد من يصنع التاريخ بقرار شخصي. ففكر الغزالي حاصل تفاعل متشعّب بين مسائل مقامية تنتمي إلى أصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة والمنطق وغيرها. ويمكن الجزم بأن معاصرين له كانوا يفكرون بطريقة مماثلة له، لكنهم لم يكتبوا أو أن الغزالي أخذ منهم بدون إشارة إلى دَيْنه. ويمكن أن يكون الفكر الغزالي في أصول الفقه مثلاً ذا عمق واضح، بينما فكره ضعيف في شأن ما يتعلق بالتاريخ أو الكسمولُجيا (1). ونفس التقدير يمكن أن يدلى به في باب الفكر الذي بناه كوپرنك وديكارت ونيوتن واينشتاين وغيرهم. فلكل فكرة، ولكل تصوّر، أطوار من التفاعلات والتأويلات والاعتراضات؛ وليس الجديد جديداً إلّا في بعض الجوانب.

يستفاد من هذه الملاحظة أنه إذا أراد المرء أن يؤكد على فكرة واردة لدى فيلسوف معيّن، فيجب الوعي بماضيها وبوزن السياق الذي يطبعها، بما يسوده من مظاهر التنافس، في تكوّن تلك الفكرة. وتاريخ الأفكار ليس من فعل أفراد منعزلين، بل هو تاريخ تفاعل التيارات المذهبية وتدافعها وتعارضها.

حدود التوسّع والاختراق

يمكن تبيّن أن جلّ مَن نظر في المنطق من داخله، منذ تلاميذ ارسطو والرواقيين إلى أواخر القرن التاسع عشر، تقبّلوا المبادئ والآليات الأساسية لمنطق القياس المشائي

(مع دمجه بالمنطق الرواقي). لكن الانخراط في هذا المنطق لا يستلزم منع كل اقتراح في توسيع هذا الجانب أو ذاك من هذا المنطق نفسه، مثل آلية العكس أو التناقض في منطق الجهات أو اللزوم أو برهان الخلف ... والقول بأن فخر الدين الرازي (وف 1210/606) عارض هذا المنطق السائد وأتى بمنطق جديد يحفّه كثير من المغامرة. فعلاً قدّم الرازي ملاحظات جديرة بالتحليل، لكن هل تخلّى عن صلب نظرية القياس؟ وما من شك في أن ديكارت أتى بأفكار أراد منها تجاوز السائد من المسلّمات، لكن هل تحرّر من قبضة النطاق الفكري الوسيط تحرّراً تاماً؟ ... أما بذرات التحديث الفلسفي، فقد 'بدأت' منذ منتصف القرن الخامس عشر في سياق تفاعل مثمر بين الممارسات الأدبية والفنية والعلمية![2] وليس للحداثة الفكرية أبٌ واحد، وليس للإصلاح رائدٌ واحد.

وما نقوله عن سيرورة المنطق يجوز قوله عن سيرورة تطوّر الفلك الإبرخي-البطلمي[3]، وعن سيرورة تطوّر الرياضيات الأقليدية[4]، وعن الطب الجاليني[5]. والتيارات الفلسفية أيضاً عرفت تطورات إنضاجية وتأويلات وعمليات تكييف متنوعة. وكم هي صعبةٌ محاولة الفصل بين الفلسفة والعلم، رغم تمايز الميادين.

لذا يجب أن يستفيد الدارس من تتبّع سمات البناء والاعتراض والعناد والتكييف لكي يتجنّب الأحكام المبالِغة، وبعضها لا يمكن أن توصف إلّا بالمتغطرسة، مع أو ضد هذا التيار أو ذاك. وعندما يتناول الدارس الاجتهاد الفقهي لدى المذاهب المختلفة يجب أن يتخلّص -بدرجة معقولة- من التصنيفات المسبقة: إذ كم داعٍ إلى الاجتهاد يزداد التزاماً بالاتّباع عملياً. فيجب طرح السؤال: أوَليست للمذاهب الفلسفية والعقدية في توسّعها وتشعّبها وتأويلاتها حدود؟ وكم من أحكام سائدة عندنا يكون مصدرها الاستناد إلى الرواية الساذجة بدل اللجوء إلى حصيلة البحث العقلي الجادّ[6].

سؤال الجدوى

نرى أنه في اختياراتنا الفكرية يجب استحضار مدى الجدوى من هذه الفكرة أو تلك ومدى فائدتها في سياق محدّد. لا يتعلّق الأمر بفرض انتقائية متعسفة. ولكن لا بدّ من طرح أسئلة من قبيل: ما الفائدة من تقديم نصوص تتحدث عن "موت الإله" وتجزم بانعدام أي حقيقة وتعلن أن كل ما بقي بعد تفكيك المزاعم هو التِيه والعدم، لتلميذ لا يتعدى سِنُّه الثمانية عشر، ولا تكوين له لا في تاريخ المذاهب ولا تاريخ الأدب ولا تاريخ اللغات ولا تاريخ الفنون ولا تاريخ العلوم ...؟(7)

وفي الفكر الفلسفي، عادة ما نقتبس بعض العبارات المغرية ونرددها في شكل اتّباع مختزِل. فهناك عبارات مشهورة لفلاسفة من حقب تاريخية مختلفة، ظلت تدغدغ الذاكرة، لأنها ذات مرامي نقدية. وهي عبارات مختصرة جميلة، تلخّص تأملاً فلسفياً جادّاً، لكن أن تُردَّد في كل مقام، قد تكون ذات نتائج غير بنّاءة.

يمكن لمُحاضر أن ينقّب عن نصوص غنيّة قصد تحليل فكرة أو تفسير دواعي موقف معيّن أو اقتراح فهم، وأنت لا تريد أن تسأل المحاضر ولا أن تعترض على تدليله بنظر عقلي، فتقول له: "كل تحليل نسبي"، كأنك تقول له "أن ما قلتَه مثل ما يمكن أن يأتي على لسان أي واحد والأمور سيّان"، وكأن التحليلات متكافئة ولا حاجة إلى بذل مجهود(8).

ومن العبارات المنقولة عن مارتن هايدگر، وهو بصدد الدفاع عن الفكر الميتافزيقي، تلك التي تنتقد العلم والمنطق بشدّة. كان ذلك في سياق مجادلات حامية بين تيارين انتصبا خصمين في موقفيهما من العلم والميتافزيقا: موقف الوضعانية المشِيدة بالعلم والمنطق، وموقف هايدگر المضادّ تماماً (بالطبع، وجدت مواقف وسطية كثيرة ...). وفي هذا السياق عبّر هايدگر عن موقف نقدي للعلم، بقولته عن العلم أن "العلم لا يفكر"(9)، وكرّر القول عدة

مرات بصيغ مختلفة في سياق سؤاله الذي تناوله في دروس شتى في الخمسينات من القرن الماضي، ضمن سؤاله "ماذا يُسمّى فكراً؟" والغرض الأساسي لهايدگر هو الحثّ على التفكير وعدم الانصياع للسائد. وليس من السداد تكرار القولة وكأن هايدگر ضد العلم جملةً. فبالأحرى، إن النقد موجّه للفكرة الوضعانية (والعقلانية الكلاسكية) عن العلم والمنطق، لا للعلم باعتباره مكوّناً حياً من الفكر بالذات.

وكم من التحليلات النافذة تكون ذات مرامي نقدية هامّة تبرز ثغرات في هذا التصوّر أو ذلك، ولكن لا يليق التشبث ببعض العبارات الواردة في طياتها لِما يمكن أن تؤدّي بخيال القارئ إلى تداعيات غير وثيقة. المثال على هذا بعض عبارات **جيل دلوز** وهو يتحدث عن المنطق، بأسلوب مزهوّ واضعاً نفسه مُرشداً لأهل المنطق، حيث قال إنهم منشغلون بالرابطة بين **التعقيل والوصف** كمسألة من درجة "عالية" من الأهمية، لكنهم في نظره يطرحونها في "شروط عامّة جداً"(10). كما يورد عن العلم في مواضع قليلة كلاماً سطحياً، غير عابئ بما يكتبه أهل الاختصاص. وفيم تفيد عبارة "حقد حقيقي للمنطق على الفلسفة"، التي وردت في كتاب من وضعه مع فيلكس گتاري(11). لقد برز لدى بعض أهل المنطق خلال العشرينات إلى الأربعينات من القرن الماضي تصوّرٌ يزعم إمكان، ولدى قلة منهم، ضرورة التخلّص من الميتافزيقا باعتبارها خطاباً غير ذي جدوى، بل مبهماً أصلاً؛ كان ذلك من نتائج التجديد الذي عرفه المنطق في لغته وآلياته آنذاك.

وهكذا عندما نطّلع على تحليلات وتفكيكات، يجب التمييز بينها في ضوء ترتيبات سياقية وتربوية، بدل التسرّع إلى إعلان الكشف. إن الاطلاع من لدن المهتمّ ضروري، لكن النشر أمر آخر. وينطبق هذا على الإقبال على كتابات في ما بعد الحداثة والجنسانية في الإبستمولجيا ومنطق التناقض ...

الإقبال على كتّابات 'ما بعد الحداثة' بدون هضم مقوّمات 'الحداثة'، هل هو تنفيس أم رغبة في التجاوز؟ ولكنه تجاوز لمسافات لم تُقطع ولأوضاع لم تُعشْ؛ ولهذا قد يكون هروباً إلى الأمام! هذا التسرّع هو الذي يثوي وراء أخطاء علمية ترتكب عندنا. فلا بد من الانكباب على الاستيعاب الواعي، عوض الاطمئنان إلى الملخصات المختزِلة؛ ما بالك بطغيان الشعارات.

خاتمة

من الفقرات السابقة، يمكن استخلاص فائدة مؤداها أن الأساس في النظر وإعمال الفكر هو الفهم، وأن لا نهاية للفهم، لأن كل شيء من حولنا يتغيّر، بما في ذلك الكون الأوسع. فيجب أن لا نقيّد عقولنا بمعياريات نضفي عليها (تلقائياً وبدون سبق إصرار) طابع الكليّة؛ فإذا بحقيقة المعياريات بالذات تكمن في كونها حصيلة إعمال النظر من لدن نُخب تنتمي إلى أزمنة قد تكون قديمة جداً. هذه المعياريات تتربّص بالذهن، وتنحو بدون هوادة إلى الاستيلاء على مجاله الإدراكي وإلى تقييد فعله الدلالي. ومتى لم يكن الانخراط في تصوّر ما بدون أثر معيق للفكر كثيراً، يمكن التعايش معه، وتأثيثه بأفكار مجدية تطوّر الفاعلية العقلية؛ لكن متى تبيّن أنه يشكّل حاجزاً أمام التعقيل، يجب تفكيكه والكشف عن عوراته.

والدرس من هذه الفقرات هو أن لا وجود لتفسيرات جامعة مانعة في أي موضوع. والأساس في التفكير هو التعبير عن ضرورة طرح الأسئلة وصياغة الشكوك، مع وضع خطاطات تفتح آفاقاً لتفسيرات أفضل وأجدى. ولهذا يجب تدريب العقول الطرية على الاستئناس بالسؤال بدل الاطمئنان إلى الأجوبة الجاهزة.

هوامش

1-يمكن التنبيه هنا إلى الدور السلبي الذي يلعبه تصنيف الأفكار والمفكرين في خانات التقدّمي والرجعي والعقلاني ... بالطبع، مواقف التقدمية والرجعية والعقلانية حاصلة، لكن يجب الانتباه إلى أن الأوصاف تكون أحياناً جزافية، إضافة إلى الطابع النسبي للمفاهيم والتصوّرات. فكم من دغمائي يدّعي الاجتهاد، وكم من دكتاتوري يختبئ وراء المناداة بالعدالة الاجتماعية أو بما هو قريب منها!

2-نقول "بدأت" اضطراراً فرضته العادة. أما في التاريخ الفعلي فإن كل بداية مفترضة امتداد لبدايات مفترضة سابقة، وهكذا.

3-نسبة إلى عالم الفلك اِبرخُس (أو هيپارْخُس، توفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد)، وجامع مساهماته ومساهمات آخرين كلوديُس بطلميوس (وف ح 170 م). فظل هذا النسق الفلكي، الذي سمّي اختصاراً بالفلك البطلمي، مسيطراً في البحث الفلكي. لكن السيطرة لم تمنع الشكوك التي عبّر عنها النُظّار الحاذقون في بعض الجزئيات، خلال قرون، كما أن الفرضيات المنافسة له لم تنقرض انقراضاً تاماً. معنى ذلك أنه لا يمكن الجزم باختزالٍ في أمر مدى التجديد الكوپرنكي قبل منتصف القرن السادس عشر وتفاصيله.

4-تراكمت المبرهنات الرياضية في الحساب والهندسة قروناً قبل فيثاغورس (وف ح 495 ق م)، لكن باعتبارها إنشاءات يغلب فيها الحدس على البرهان، فكانت مشتّتة شيئاً ما. وعندما قوي عُودُها بفعل السياق الجدلي العقلي، بين منتصف القرن السادس ومنتصف الرابع قبل الميلاد، تبيّنت للمهتمّين مظاهُر الترابط المتّصل بين تلك المبرهنات ومبادئها. وعند منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، برز تفكير في أسس الكائنات الرياضية والترابط البرهاني العقلي، خاصة في مدرسة أُودُكْسُس (وف ح 350 ق م) المنافسة للأكادمية واللكيوم. والمؤلَف الذي وصلنا حاوياً لنسق متماسك هو كتاب **الأصول** الذي بلوره اقليدس الإسكندري (وف ح 270 ق م)، وربما بمساعدة آخرين (!) وبقي محتوى الكتاب يُعاد بناءُه وسبكه خلال أزيد من عشرين قرناً (لعل أبرز من قام بذلك ابن الهيثم، وف 1040/432)؛ لكن لم تبرز أنسقة مكتملة بديلة حتى منتصف القرن التاسع عشر بالتقريب.

5-جمع كلوديُس جالينُس (وف بُعيد 200 م) أطراف الطب الذي تراكمت المعلومات ضمنه منذ اِبوقراط الكوسي (وف 377 ق م) في حوالي مِئة كتاب طبي. ولكن لم تضَع مؤلفاتُه نهايةً للتنافس بين التفسيرات المختلفة للأعضاء والأنسجة ووظائفها وأمراضها. وبعد تطور البحث التجريبي والصيدلي تبلورت شكوك وإغناء موضعيّ، خاصة على يد أبي بكر الرازي (وف 925/313)، لكن بدون تغيير كبير في الإطار النظري ككلّ، حتى مرّت قرون.

6-تنتشر عندنا مواقف تصنع الأخبار، كردّ فعل أو رغبة في 'الإنصاف' أو 'التجاوز' أو 'الانتقام'، ولا تستقيها من الدراسات الجادّة، مثل القول **بإعدام** العالم الإيطالي گاليليو گاليلي "على إثر اكتشافه (؟!) دوران الأرض حول

الشمس"، وأن بعض المترجمين الأوربيين كانوا يترجمون من العربية إلى اليونانية ومن هذه إلى اللاتينية لإيهام الناس بأنهم ترجموا عن أصل يوناني !!! وكم من الإحالات من طرف 'أكادِميين' عندنا، مثل القول أن فلاناً "ألّف كتاباً ضخماً "مدخل إلى علم الفلك حسب كوبرنك""؛ والحقيقة أن مساهمة ذلك الفلان في ذلك الكتاب الجماعي الصغير الحجم لا يتجاوز بضع صفحات. وكم من أخطاء غير لائقة ترتكب في الترجمة (مثل "باسم الله نتاجر").

7-وبنفس الحرص التربوي يجب التساؤل: ما الفائدة من تعليم تلميذ لا يتعدّى سِنُّه العشر سنوات أقوالاً عن الجنة وجهنّم وعذاب القبر ...؟ لعل الحكمة تقتضي أن يبتعد الفعل التربوي عن ترسيخ اليقينيات بنفس المسافة التي يبتعد بها عن الإشادة بالعدمية.

8-وفي بعض المجادلات لا يتردّد بعضنا في أن يردّ على مخاطبه: "لا يوجد خطاب بريء"؛ وكأن المدافع عن فكرة ما ارتكب جناية (بالفهم العادي)، وأن الناطق بالجملة أعلاه صافي النية! هكذا تستعمل فكرة ذات عمق تحليلي في نسف الحوار وإفحام المجادل واقتراح السكوت، وكأن السكوت أجدى و"أبرأ".

9- Martin Heidegger, *Was heisst Denken?*, in *Gesamtausgabe*, I, Band 7: *Vorträge und Aufsätze* (127-143), Frankfurt am Main: V. Klostermann, 2000, S. 133.

10- Gilles Deleuze, 'Klossowski et les corps-langage' (revue *Critique* 1965), in *Logique du sens*, Paris: Les Éditions de Minuit, 1969, p. 327.

11- Gilles Deleuze & Félix Guattari, *Qu'est-ce que la philosophie ?* (1991), Éditions de Minuit, 2019, p. 168.

صدر حديثا

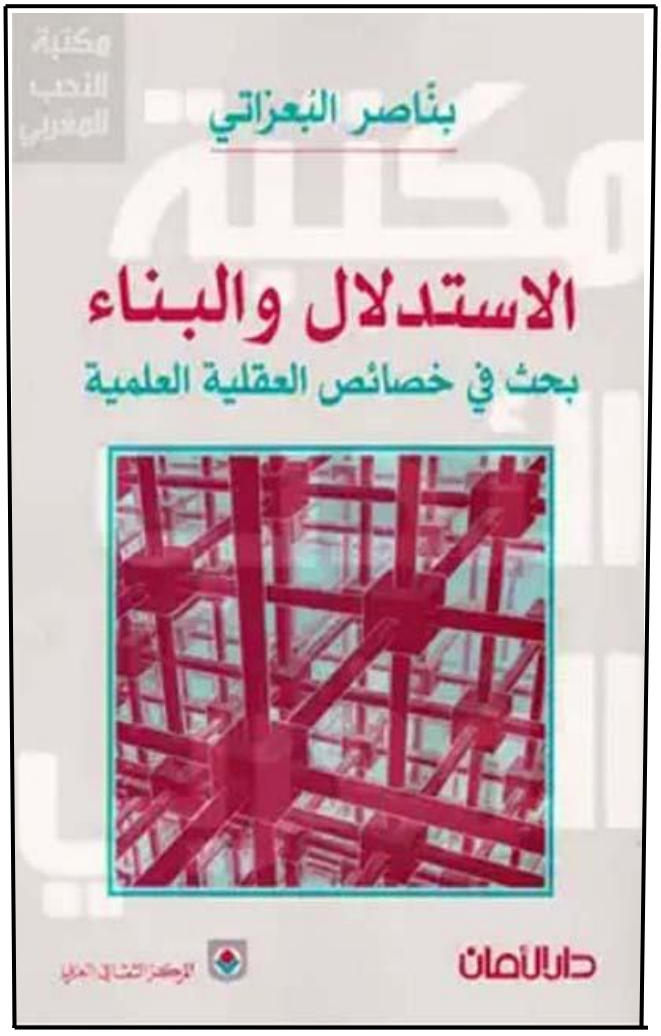
بنّاصر البُعزاتي
الاستدلال والبناء
بحث في خصائص العقلية العلمية
دار الأمان